

السنة: 2016	المجلد : الأول، العدد الأول	مجلة دراسات فنية
-------------	-----------------------------	------------------

كيف نقرأ أدب الطفل؟

جامعة الجزائر 2

عبد الله بشريف مونة

الملخص:

نسعى في هذا المقال إلى إبراز أهم المهارات، والمستويات والمعارف المتعددة، التي تجعل من قراءة أدب الطفل قراءة مرنة، تؤدي ثمرها وتصل إلى غايتها بدقة، من خلال التعرف على أهمية تلقي وقراءة أدب الطفل قراءة صحيحة ومؤثرة من قبل الكبار والصغار بالإشارة إلى عدة اتجاهات لقراءة أدب الطفل والتي تقوم أساسا على القراءة العلمية الصحيحة. فماذا تعني القراءة؟ وكيف نقرأ لأطفالنا؟ وما هي الشروط التي ينبغي تحقيقها لقراءة أدب الطفل قراءة صحيحة؟

الكلمات المفتاحية: أدب الطفل، القراءة، الطفل، الأسرة، التلقي

Résumé:

Nous cherchons dans cet article de mettre en évidence les compétences les plus importantes, les niveaux et les connaissances multiples, qui rendent la lecture de la littérature d'enfance un processus souple, à porter ses fruits et atteindre précisément son but, en reconnaissant l'importance de la réception et la lecture de la littérature d'enfance d'une façon correcte et efficiente par les adultes et les enfants. Cela en se référant à un certain nombre de directions à lire la littérature d'enfance, qui sont basées principalement sur la lecture scientifique correcte. Que signifie la lecture? Quelles sont les conditions et les mécanismes qui devraient être atteints pour une lecture correcte de la littérature d'enfance ?

مقدمة:

إن قراءة أدب الطفل تتطلب مهارات، ومستويات ومعارف متعددة، تجعلها طيبة، ومثمرة لتصل إلى غايتها بدقة، وعلى هذا الأساس فإن هناك عدة اتجاهات لقراءة أدب الطفل تقوم على أساسها القراءة العلمية الصحيحة.

فماذا تعني القراءة؟ ... وتحديدًا قراءة أدب الطفل، لتكون قراءة علمية صحيحة؟

إن القراءة في إطارها العام هي الحد الفاصل بين العلم والجهل، وهي الجادة التي توصل سالكيها إلى الصواب، وتميز بين العالم والجاهل، وهذه الميزة قد ذكرها الله سبحانه وتعالى حيث قال في محكم كتابه الكريم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾ لذلك عدت القراءة سمة العلم والعلماء، وسمة الفكر والمفكرين، وسمة الثقافة والمثقفين، وقد أصبحت ضرورة أساسية، لازمة من ضروريات الحياة، والتي لا يمكن للإنسان العاقل أن يستغني عنها بأي حال من الأحوال، كونها تمثل البصيرة التي تساعد البصر على رؤية الأشياء بوضوح، والتمييز بين الظلام والنور، وبين الخير والشر، وبين العلم والجهل، لذا فإن القراءة تعد

قاعدة المعرفة، ومفتتح كل شيء له صلة بالعلم والتعلم مثلما كانت مفتتح النبوة على الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، حينما نزل عليه الوحي أول مرة في (غار حراء) طالبا منه القراءة في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾³. فكانت (اقرأ) البداية المباركة لنزول القرآن الكريم على صدر النبي العظيم محمد صلى الله عليه وسلم، سمة الأمة التي سميت (أمة اقرأ). لقراءتها القرآن الكريم، وتوسيعها في إدراك معاني القراءة ونتائجها في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية المختلفة.

فالقراءة، فعل إنساني، لا يمكن الاستغناء عنه، أو تجاهله، أو النظر إليه نظرة دونية، أو ثانوية، ضمن نظرتنا العامة لأفعال الإنسان الأخرى، في كافة مناحي الحياة وأغراضها المتعددة والمتشعبة، بل إن القراءة بهذا التوصيف أصبحت لدى البعض 'الشغل الشاغل' لمجمل نشاط الإنسان وفاعليته في التطور الفكري والصناعي والسلوكي، الذاتي والاجتماعي على كافة الأصعدة، حيث تمكن من خلال فعل القراءة أن يرتقي بنفسه ويطورها ذاتيا بالاعتماد على قراءة الكتب المتنوعة والقريبة إلى مداركه وتطلعاته ورغباته، في تحصيل الاتجاهات العلمية والمعرفية الكثيرة والمتنوعة، إذ أصبح الكتاب في هذا الاتجاه بمثابة المدرسة الذاتية التي تعلم الإنسان وتوسع مداركه وإطلاعاته باستمرار، وتجعله بالمستوى العلمي اللائق أو المتقدم بعد تدريبه على القراءة والكتابة بشكل جيد⁽⁴⁾.

1- الطفل والقراءة:

إن فعل القراءة — بالنسبة للإنسان السوي — يجب أن يكون فعلا أوليا، وأساسيا، ضمن أولويات أفعاله المهمة في حياته اليومية باستمرار، وعلى أن يغذي هذا الفعل بما يستحقه، وما يحتاجه من المواد المعرفية المهمة والمناسبة، والمتوافقة مع مستوياته وحاجاته. حتى يلقي أثره وتأثره وفاعليته في أبعاد الشخصية القارئة — وخاصة إذا ما تواصلت هذه الشخصية مع القراءة منذ الطفولة، فإن 'يقرأ الطفل معناه أنه لن يحدث قط ارتداد إلى الأمية، أن يحسن القراءة يعني أن يدرس جيدا اللغة والعلوم... إلخ. وأن يقبل على القراءة ويحب الكتاب يعني ذلك مستقبلا "التعليم المستمر" ويعني التثقيف والموسوعية، أما حين لا يقبل الطفل على القراءة؛ فذلك يعني توقف نموه الذهني والثقافي والتعليمي، بل قد يعني الردة للأمة والجهل'⁽⁵⁾.

ولقد بذلت عدة محاولات لحصر الأسباب التي تدفع الإنسان إلى القراءة، ووجدوا أن تلك الأسباب لا يمكن حصرها، بعد أن تجاوزت الستين سببا، تراوحت بين قراءة الكتب السماوية وصولا إلى نتائج مباريات كرة القدم، ومقادير طبخة معينة⁽⁶⁾، وغير ذلك من الأسباب العديدة الأخرى التي تدفع الإنسان إلى القراءة للبحث عن بغيته من اتجاهات المعرفة والعلم والتعلم، وكل ذلك يزيد من سعة اطلاعه وخبراته ومعلوماته، وهذا ما يتطلبه وعي الإنسان وفكره على الدوام ذلك لأن القراءة فعل إنساني متواصل مع تواصل الإنسان بالحركة والنشاط والفاعلية بكل اتجاهاتها الفكرية والعقلية والذهنية، وبفعل القراءة يتم تطوير هذه الاتجاهات وتوسيع ميادينها المعرفية. وتحديد ما هو جديد، لهذا لا يمكن الاستغناء عن القراءة وفاعليتها وأهميتها في بناء الشخصية وتحسينها بكل ما هو أساسي ومطلوب ومدها بأسباب الرقي والتقدم، ولا يتم ذلك من دون التواصل مع سبل المعرفة

وروافدها المتعددة، ولا سبيل لذلك إلا سبيل القراءة ... وهذا السبيل لا يمكن تعزيزه في شخصية الإنسان ونشاطه ما لم نعد القراءة حاجة أساسية في حياتنا، لها ما للحاجات الأخرى من الأهمية وضرورة في تكويننا الشخصي، وفي صيرورة حياتنا وسيرها.

القراءة هي مفتاح الدخول إلى مجمل العلوم الأخرى، غير أننا سنختصر الحديث عن قراءة الأدب، وهذا الاتجاه من اتجاهات القراءة لا يمكن أن يتطور وينمو ليصبح عادة وميلاً في نشاط وفاعلية الطفل الشخصية ما لم نعينه ونساعده على الاتصال بسبل القراءة وعواملها، والوصول بقدراته القرائية إلى المستوى الذاتي المتقدم من النشاط والفاعلية القرائية إلى المستوى الذاتي المتقدم من النشاط والفاعلية القرائية الجيدة⁽⁷⁾، لذلك يفرض أن يعطى هذا الاتجاه الأولوية ضمن اهتماماتنا الثقافية والتربوية بالطفل، وأن يحاط بكل الاهتمام المطلوب لتوسيع ميادنه، وآثاره وتأثيراته في نطاق شخصية الطفل، وأن يكون قضية أساسية ومهمة في منظار رؤيتنا للطفل، منطلقين من مسؤولية إنسانية وأخلاقية تدرك هذه القضية وأهميتها في حياة أطفالنا خاصة، وحياة المجتمع عامة، وداعين بحرص شديد إلى أن تتضافر الجهود من أجلها وصولاً إلى "طفل قارئ" ينافس العالم⁽⁸⁾، فالطفل يقرأ حين يجد من حوله يقرأون، وحين يجد الكتب، وليس أدعى العجب من أب يشكو من أن ابنه لا يقرأ والأب لا يوفر له ما يقرأه، إذ إننا نحس بالأسى ونحن نكرر دوماً: "أن أمة اقرأ لا تقرأ". والحق أننا بحاجة إلى حملة وطنية وأخرى قومية للدعوة إلى القراءة.

من هنا لابد أن نعمل جاهدين، وبكل الإمكانيات والقدرات على إيجاد الإنسان القارئ، وإيجاد مثل هذا الإنسان لا يتم إلا من خلال مرحلة الطفولة، فحين نبدأ من الطفل في ترسيخ عادة القراءة وتوسيع اتجاهاتها ميولها لدى هذا الطفل، خطوة خطوة، سنسهم إسهاماً كبيراً بإيجاد الإنسان القارئ في المستقبل.

وحقيقة أن إيجاد الطفل القارئ لا يمكن بدون النظر إلى الراشدين الكبار، الذين يحيطون الطفل، ويتلى هذا الطفل من خلالهم ثقافته، وتربيته، وتعليمه، كالأباء والأمهات والمعلمين والمربين، ومن بحكمهم، وإذا ما اهتم هؤلاء بالقراءة وسعوا إلى ترسيخ ميلول القراءة واتجاهاتها في نفس الطفل، فمن المؤكد أنهم بذلك يخلقون الطفل القارئ، أما إذا كان الأمر عكس ذلك، فإن تكوين الطفل القارئ، يكون أمراً صعباً، إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه .

لذلك علينا قبل أن نبحث في خطوات تنمية القراءة لدى الطفلعلينا أن نبحث في خطوات تنمية القراءة لدى الكبار، وعلينا في بادئ الأمر أن نعلم الكبار كيفية النظر إلى حاجات الطفل القرائية، وكيفية العمل على الاستجابة الإيجابية لحاجات الطفل للقراءة، وبذلك يمكن لنا أن نصل بشكل يسير إلى السبل الناجحة في تنمية الميلول القرائية لدى الطفل، وترسيخ عادة القراءة كعادة أساسية وضرورية ضمن عاداته الحياتية.

2- الأسرة وقراءة أدب الطفل:

لأسرة - خاصة الأب والأم - دور كبير، وأساسي في غرس عادة القراءة في نفس الطفل، منذ سنواته الأولى، وذلك من خلال قيام الأب أو الأم بفعل القراءة أمام طفلها، كنشاط يومي من أنشطتهما التقليدية داخل البيت، عند ذلك سيحبب هذا النشاط انتباه الطفل، ويدعوه بشكل عفوي إلى القيام به وممارسته حتى بدون أن يكون واعياً لماهية وأسسها، المهم أنه يقوم بفعل التقليد، وكما هو معروف أن الطفل يقلد أباه وأمه أو من هو أكبر منه داخل البيت، في الكثير من الأفعال والحركات التي يقوم بها الكبار أمامه، لأن هذه الأفعال، وهذه الحركات تجلب انتباهه وتثير فضوله فيعتمد إلى القيام بها وتقليدها، فحين يجد هذا

الطفل أن أحد في الأسرة كثير الانشغال بالقراءة يحاول أن يتشبه به ويقلده⁽⁹⁾، وبهذا التقليد العفوي يبدأ أولى خطواته نحو التعرف على عوالم القراءة، وإن كانت هذه الخطوات غير مدروسة، وغير واعية لماهية القراءة، إلا أنها تعد نشاطا محفزا للطفل، نحو التدريب والتعلم خطوة، خطوة باتجاه البدء بالتدريب الصحيح على أساليب القراءة الصحيحة.

من هنا يتطلب من الوالدين الاهتمام بهذا الجانب، والانتباه إلى أهميته في حياة الطفل ستكون له نتائج سلبية على حياة الطفل المستقبلية، ومن أولى هذه النتائج أنها ستعوق اتجاهات الطفل وميوله إلى القراءة، وتضعف هذه الميول بشكل واضح.

إن اهتمام الأسرة بالقراءة؛ يعني شيوع عناصر القراءة ومستلزماتها في أركان البيت مما ينعكس بشكل واضح على ميول الطفل ونشاطاته في البيت، هذا ما يدفع الطفل إلى الاهتمام بمادة القراءة وممارستها في بادئ الأمر بشكل طوعي وعفوي يفتح ذهنية الطفل وقدراته إلى ماهيات القراءة وعناصرها، وكل ذلك يأتي (بفضل الأسرة القارئة) التي تحفز الطفل وتدعوه إلى ممارسة فعل القراءة.

من هنا ندرك: أن وعي الأسرة ومستواها الثقافي يلعب دورا هاما في تدريب الطفل على القراءة، وفي نوعية الكتب التي يقرأها الطفل، كما أن الحالة الاجتماعية للأسرة لها تأثيراتها الواضحة في هذا الاتجاه مثلما يذهب إلى هذا الاستنتاج (فولبر دنج) حين يقول: "أن الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الطفل تؤثر في نوع الكتب التي يقرأها هذا الطفل، فالطفل الذين ينتمون إلى الأسر المتوسطة لا يستطيعون الحصول على ما يبتغون من الكتب المتنوعة لعدم قدرتهم على شرائها. وهذا الحال يؤثر بشكل واضح على المستوى القرائي، والطبيعة القرائية للطفل"⁽¹⁰⁾.

لذا على الأسرة أن تدرك دورها المهم وحاسم في غرس عادة القراءة في نفس الطفل، وفي تعويد الطفل، وتشجيعه على القراءة باستمرار، من خلال توفيرها مادة القراءة التي يحتاجها الطفل من كتب ومجلات مناسبة مع ميوله وعمره، وكذلك حثه على تطوير علاقته بالكتاب، من خلال القيام بأنشطة معينه تهدف بالنتيجة إلى جعل الكتاب كمادة مهمة ومطلوبة لدى الطفل. كأن يهدى له في كل مناسبة من المناسبات القريبة من الطفل هدية على شكل كتاب وتشجيعه على قراءة هذا الكتاب، وإدخال الطفل في نقاش مبسط حول هذا الكتاب وما تشكله من فائدة للطفل، وعلى الأسرة أن تدرك جيدا العوامل المؤثرة في قراءة الطفل، وتعمل على تقييم نشاط الطفل في القراءة، بناء على النتائج التي تتيحها قراءة الطفل وفق تلك العوامل، التي تتلخص بالعوامل المادية، كالصحة والبصر، والسمع، ومكان القراءة ووقتها والهدف منها، كذلك الاهتمام بقوة الفهم والتركيز والاستيعاب في هذه القراءة، ومعرفة ذلك عبر التحقق من نتائج القراءة، وهل أن الطفل استطاع أن يستوعب فكرة الموضوع المقروء، دون تشتت ودون مغالطة؟ وهل بإمكانه شرح الموضوع المقروء بشكل جيد؟

كذلك يتطلب معرفة الثراء اللغوي للطفل، وتقدير حصيلته اللغوية من القراءة، وتوافق هذه الحصيلة مع ما يقرأ؟... وأيضاً يتطلب من الأسرة أن تقيم قراءة الطفل من خلال متابعة نطق الطفل للكلمات بصورة صحيحة دون تلكؤ أو صعوبات، ومدى إمكانية الطفل في ربط الكلمات والوصول إلى معانيها ومغزاها ومدلولاتها في العبارات والجمل الكاملة، التي تدلل على قوة الاستيعاب والتمعن في المادة المقروءة، وإلى جانب ذلك لابد من قياس مهارة الطفل في القراءة، عبر اختباره بنوع

من الأسئلة التي تثار أمامه حول قراءاته السابقة لمعرفة مدى تذكره وفهمه لما يقرأ في الأيام السابقة، مع معرفة قوة ملاحظة الطفل ونباهته في استثمار الوسائل التعليمية لإعاقته على القراءة الجيدة بصورة دقيقة⁽¹¹⁾.

إن عملية التحقق من نتائج القراءة الجيدة والمناسبة للطفل، عملية مهمة وواجبة للوالدين من أجل الوصول بقراءة الطفل إلى المستوى الجيد، وهذه العملية تتطلب من الوالدين أن يراقبا الطفل ويقفا على مستوى قدراته في القراءة ونتائج هذه القراءة، وما مدى تأثيراتها ومعوقاتها في مساحة الطفل، وفي قدرته القرائية، لذا على الوالدين، أو أحدهما، وبشكل خاص على الأم، أن تتحقق بنفسها من نتائج القراءة الجيدة بالنسبة لطفلها، وذلك من خلال قيامها بإجراء التمارين القرائية للطفل، عبر قراءة القصة أو القصيدة أو الحكاية أو أية قطعة أدبية أخرى أمام الطفل، وتكرار عملية القراءة وتمثيلها أكثر من مرة للوقوف على وقعها على قدرات الطفل، وحواسه أولاً، وللوقوف على مدى تقبل الطفل لهذه القطعة الأدبية والتأثر بها ثانياً، وبذلك يمكن الأم أن تصل إلى بعض النتائج الواضحة والمرضية في هذا الاتجاه، من أجل التواصل في تعميق مهارات القراءة لدى الطفل، وتقوية علاقته بالكتاب...

إن قراءات الأم أو الأب لنصوص أدب الطفل، أمام الطفل لها الأثر البالغ في نفسه، وفي تهيئة حواسه وقدراته على تقبل هذه النصوص والاندماج معها ومتابعتها، خاصة إذا كانت القراءة قراءة طيبة، مناسبة لمستوى مدركات الطفل وقرينة من نفسه، ومن مناخه... لذلك تعتبر قراءة الكبار- الأب والأم- لأدب الطفل من الواجبات المهمة والضرورية لهما، من أجل الوصول إلى عوالم الطفل وتفهم احتياجاته وقدراته على أن تكون هذه القراءة متوافقة مع متطلبات الطفل العمرية، وحسب مستوى استيعابه لمفردات اللغة والمبنى الحكائي للقصبة أو القصيدة أو القطعة الأدبية الأخرى...

وعلى هذا الأساس يتطلب من الأم أن تكون عارفة، خبيرة على قدر جيد من الخبرة والمعرفة بمتطلبات الطفل وحاجاته القرائية. والمعوقات التي تقف أمام الطفل وتمنعه من القراءة والاستيعاب من أجل معالجتها وحلها بشكل صحيح، ومن بين تلك المعوقات التي يتطلب من الأم معرفتها والإسراع بإيجاد الحلول لها هي صعوبات النطق، فالأم الخبيرة، الواعية، العارفة بمتطلبات الطفل، ولديها مستوى جيد من الإدراك والمعرفة بعوالم الطفل وبلغته تستطيع أن تدرك هذه الصعوبات بسهولة ودقة، لتعمل على إيجاد الحلول لها وعالجتها معالجة عملية صحيحة قبل استفحالها وفقدان السيطرة عليها، إذ أن صعوبات النطق أثناء القراءة تعوق نمو قدرات الطفل القرائية، وتحول دونه ودون التمتع بالقراءة والاستيعاب.

إن الدور الرئيسي في علاج مشاكل النطق يقع على عاتق الأم والمدرسة حيث يجب متابعة صعوبات النطق أثناء القراءة أو الحديث. خاصة خلال البدايات الأولى التي يتعلم فيها الطفل القراءة والنطق، والتي تبرز عادة في السنوات الأولى من عمر الطفولة، وإذا ما تواصلت هذه الصعوبات واستمرت من دون انتباه أو معالجة فإنها حتما ستبقى ملازمة للطفل في السنوات اللاحقة، ففي استبيان تربوي قدمته إحدى المدارس في نيويورك لمتابعة حالة الطفل كان من ضمن الأسئلة الموجهة للأم: بعد سن الثالثة هل يعبر الطفل عما يريد بالإشارات أكثر من الكلام؟... وهل يتحدث الطفل بكلام غير مفهوم أو لا يستعمل الأشياء بشكلها الصحيح مثل المشط للشعر؟... وهل تلاحظ الأم فرقا بين حديث طفلها ومن هم في مثل عمره؟ وكما جاءت نتيجة الدراسة فإن المسؤولية في توصيل اللغة بشكل صحيح وواضح تقع على عاتق الأم التي يجب أن توسع في مدارك الطفل وتعرفه على تفاصيل الأمور، فعندما يقول "حذاء" يجب أن تضيف الأم "الذي ترتديه في قدمك، والتحدث معه في كل الأوقات كأن تقول:

"أنت تلبس حذاءك، قميصك، وطالبت المدرسة الأم التكلم مع الطفل حتى بالأمر السخيفة لتعرف ردود فعله وتمييزه للمنطق في الحياة اليومية، كأن تقول له: الطقس اليوم حار جدا هل ترتدي المعطف؟... فإن ضحك الطفل يعني ذلك بأنه يميز المزج من الجد وإن سلم بالأمر فهناك أسئلة أخرى للتأكد من طريقة تفكيره"⁽¹²⁾.

والمهم في ذلك أن ندرك وقع هذه الأسئلة على الطفل وتأثيرها على مستوى تفكيره وفهمه للأشياء، فمن خلال ذلك نستطيع أن نفهم الطفل فهما صحيحا، ونميز مستواه، ودرجة فهمه للأشياء، ومن خلال ذلك أيضا نصل إلى إدراك قدرة الطفل على فهم اللغة والأشياء وصفاتها في النص الأدبي المكتوب له، والذي يقع ضمن قراءات الطفل ومدى تأثير الطفل بهذا النص الذي يمثل نموذجا للقياس والاختبار والكشف عن مستوى قدرة الطفل على القراءة ومستوى هذه القراءة.

يقول الدكتور فرانسيس روبرتس أخصائي الأذن: "أن معظم مشاكل النطق والتعبير تزول مع مرور الوقت وإن كانت هناك حالات نادرة حدوثها متوقع مثل الحبسة أو فقد القدر على الكلام نتيجة لأذى أصاب الدماغ أو صدمة نفسية مما يستلزم علاجاً دقيقاً للطفل وإرشاد الأهل لكيفية التعامل مع حالته بشكل صحيح"⁽¹³⁾.

نفهم من هذا أن متابعة الأم ومراقبتها المستمرة لطفلها خلال نطقه، وخلال القراءة أمر مهم للوقوف على حالة الطفل الطبيعية، وتحديد مدى سلامته من أي عارض أو معوق أو صعوبة قد تواجهه خلال عمليات القراءة، فإدراك ذلك من البداية، وفي المراحل الأولى له، يسهل أماننا عملية المعالجة السريعة، وإيجاد الحلول والمعالجات المناسبة، مثلما يدفعنا ذلك إلى الاطمئنان على سلامة الطفل، بضمان سلامة منظومته اللفظية والسمعية والبصرية إلى جانب ضمان سلامة ونمو قدراته العقلية والذهنية والنفسية وتواصل نموها وتطورها مع تواصل الطفل بالقراءة واكتساب المزيد من النجاح والتقدم في مجالات القراءة ومهاراتها المعرفية التي تكشف لنا - في حالة استمرارها - عن اكتساب المعرفة والمتعة بشكل دائم، وهذا هو المبتغى من وراء القراءة، والذي يشكل هدفا مهما من أهداف القراءة مثلما هو جانب مهم يدخل في عملية صناعة الكتاب الجيد للأطفال، والذي لابد أن يتوجه هذا الكتاب إلى الطفل الصغير وإلى ذويهم بنفس الوقت، لأن ذوي الطفل هم من يقرأ هذه الكتب وينقلها إلى الطفل وقد أدرك كتاب أدب الطفل، وأصحاب دور النشر هذه القضية وانطلقوا منها في توفير الكتب المناسبة التي يريدها الطفل والأسرة معا، ومن هذا المنطلق فقد ظهر نمط من الكتب الموجهة ظاهريا إلى فئة الحضانة العمرية ولكنها في الحقيقة كتب موجهة لوالديهم مرسومة بصور لماعة، جميلة، باذخة، متقنة، وأحيانا مزخرفة بأشكال بشرية وحيوانية متشابكة مع أوراق شجرية. ولكن هذه الكتب - كما تقول (جون ايكن): تكلف أكثر مما يستطيع الآباء من ذوي الدخل المتوسط انفاقه على كتاب لطفل في السنة الرابعة من عمره⁽¹⁴⁾.

إن كتاب الطفل الجيد والمميز لا يعني أن نبالغ في صناعته من كل النواحي الفنية المغربية، خاصة من نواحي الشكل والألوان والرسوم، إذ أن الكلفة العالية تقف عائقا أمام شراء هذا الكتاب من قبل العديد من الأسر من ذوي الدخل المحدود أو الدخل المتوسط، ويفترض على أصحاب دور النشر المعنيين بصناعة كتب الأطفال، أن لا يكون هدفهم الأول هو الكسب المادي. فهذا الهدف دائما إذا ما وضع في الطليعة من التفكير فإنه حتما سيؤدي إلى الأهداف الأخرى ويقلل من أثرها وتأثيرها في جمهور المتلقين من الطفل لذلك فإن العديد من دول العالم المتقدم تعمل على دعم صناعة كتب الطفل في كل الأحوال، لأن غايتها من ذلك هي دعم تنمية النشء الجديد، ومده بكل مقومات الرعاية والنماء والاعداد والتقويم الصحيح من كل النواحي

والجوانب، إذا ما دعم كتاب الطفل دعماً جيداً من قبل الدولة، فإن هذه الدولة ستضمن سلامة نمو وتنمية أطفالها بشكل متواصل وجيد يعود بالفائدة العظيمة على المجتمع عامة وعلى الدولة بشكل كامل، في الحاضر والمستقبل.

من هنا يتطلب من الأسرة، أن تراعي أهم الجوانب وأهم المميزات التي تميز كتب الطفل الجيدة، وأن تقوم هي بقراءة هذه الكتب واستيعابها والتمتع بها ومن ثم إقبال هذه القراءة وهذه المتعة إلى الطفل بطريقة سلسلة وطبعة تدفع الطفل إلى سبل القراءة والتعود عليها واكتساب مهاراتها بشكل تدريجي.

وتأتي دعوتنا للكبار بضرورة قراءة أدب الطفل لأنهم بهذه القراءة سيدفعون الطفل إلى القراءة، وإلى مساعدته في الوصول إلى مهارات القراءة المثمرة مع أننا نشدد دائماً على ضرورة أن نترك الطفل يختار ما يشاء من مواد القراءة التي تناسبه. ولا يجوز أن نفرض عليه بعض المواد المعينة أو نجبره على القراءة، فذلك سيؤدي إلى نتائج عكسية، وما علينا إلا أن نسهل السبل أمام الطفل للوصول بقراءاته إلى المستويات المتقدمة، كذلك نوضح له بعض اتجاهات القيمة والأفكار التي تحملها هذه القصة أو تلك، ونوضح له سبل القصة أن تطلب الأمر، خاصة إذا ما وجدنا ميل الطفل إلى هذا البطل، ميلاً شديداً، فيتخذ قدوة له، فالطفل بطبيعته يتوحد مع البطل إلى حد التقمص الانفعالي والعفوي، ومن هنا تأتي أهمية الموجه، سواء في البيت (الأب أو الأم) أم في المدرسة (المعلم أو المربي)، وهذا الموجه هو الذي يهدي الطفل إلى دقة الاختيار وصواب القراءة، حتى يمكن الطفل من التمييز بين البطل السليبي والبطل الإيجابي، وتوجيهه بنحو علمي للوصول به إلى هذا التمييز ومعرفته بنفسه، وبطريقة تحترم رغبة الطفل وإرادته وميوله إلى هذه القصص أو تلك في بادئ الأمر، بحيث لا تخل هذه الطريقة بحرية الطفل، وتحد منها في اختياراته الأولى، التي غالباً ما تدفعه إليها مؤثرات هذه القصة وقوة ما فيها من خيال ومعارف وقيم وتعبيرات وخبرات تسحر الطفل وتشده إليها، مهما كانت فيها من جوانب سلبية والتي قد لا يكتشفها الطفل في بادئ الأمر⁽¹⁷⁾.

وعلى هذا الأساس يتطلب من الوالدين أن يكونا على قدر كبير من الوعي والإدراك الكاملين بمتطلبات القراءة الجيدة وما يحتاجه الطفل في هذا الاتجاه، إذ أن الاستجابة الواعية لهذه المتطلبات من شأنها أن تعمق إدراك الطفل بقيم المادة المقروءة، والوصول إلى فهمها وتمييز ما فيها من إيجابي أو سلبي، ووصول الطفل إلى هذا الإدراك يعني من بين ما يعنيه أننا قد أسهمنا بوضعه في الاتجاه الصحيح لتنامي قدراته المعرفية، واكتساب القيم المنضبطة التي تعزز سلوكه وتصرفه ووعيه بالأشياء التي تحيطه، أو التي يحسها ويشعر بها في محيطه البيئي وفي محيط خياله وتخيالاته، وبذلك يكون الطفل مهتماً تهمة كاملة لاكتساب ما يعزز شخصيته وكيانه، ويعمق اتجاهاتها في الإطار الاجتماعي والثقافي، فيجعله ذلك منفتحاً على أكثر الاتجاهات إيجابية في حياته، والاتصال بها واستلام رسائلها القيمة وإدراكها على قدر من الإدراك الواعي بمهامها، والوصول بذلك إلى حالة جيدة من التماهي مع قيمة القراءة وعناصرها في المقروء الورقي.

كذلك يتطلب من الوالدين من أجل تعميق روح القراءة وعمقها في وجدان الطفل أن يكون هناك حوار ومناقشات بين مدة وأخرى بينهما وبين الطفل ويكون الكتاب محور هذا الحوار والمناقشات التي لا بد أن تصل بنا إلى نتائج جيدة على مستوى تعزيز العلاقة المشتركة بيننا وبين الطفل من جهة، وبين الطفل والكتاب من جهة ثانية، وفي الحالتين تعزز القناة لدى الطفل بأهمية أدب الطفل وأهمية قراءة هذا الأدب بشكل متواصل، إذ أن للأطفال، كما لأي فرد آخر، كامل الحق بالاشتراك في هذا النوع من النقاش، عندما يصبحون مستعدين لذلك، كما يجب أن يقوموا دائماً في نهاية الأمر باختياراتهم الخاصة من بين هذه الكميات الوافرة

من الأدب المطروح أمامهم، وأن يقرؤوا الكتب بطريقتهم الخاصة بهم - مهما حاول الكبار أن يحولوا انتباههم بعيدا عن بعض الأنواع والمواقف باتجاهات أخرى مختلفة... ويتوجب على الطفل في مطالعاتهم كما في حياتهم الواقعية، أن يقوموا بالاختيار ما بين السلوك الذي يثير إعجابهم ويودون محاكاته وبين السلوك الذي يرغبون بتجنبه، ومما لا شك فيه أن من الأفضل للطفل انتقاء النماذج الجيدة والسيئة، كما تبقى للطفل حرية الاختيار بينهما، وهما أمران كلاهما ضروري في حال رغب المجتمع بالحفاظ على تلك الحرية التي تجعل من أي أدب جدير باسمه ممكنا في المقام الأول، وقد تكون حرية التعبير الصريحة أحيانا في أدب الطفل إحدى مكامن الجاذبية الرئيسية بالنسبة للقراء الصغار، الذين لا يريدون بالطبع أن يسمعو باستمرار عن النماذج الجيدة أو أن يتم تلقينهم بشأن التصرف الصحيح⁽¹⁸⁾. فهم يريدون أن يطالعوا ما يقع أمامهم، ويجذبهم إليه سواء كان من نوع الأدب الجيد، أو من نوع الأدب السيء، فهم في بادئ الأمر لا يعينهم هذا النوع أو ذاك، بقدر ما يعينهم شكله العام، وموضوعه الذي استجاب لفضولهم بشكل عام.

هكذا هم الأطفال في أغلب الأوقات، وعلى الوالدين أن يأخذوا ذلك بعين الاعتبار وهم يتعاملون معهم، ويلتقون مع تقلباتهم المزاجية، المفاجئة، ومع واقعهم النفسي، والسلوكي، والانفعالي، الحساس، المضطرب في عديد من الحالات التي يعبرون فيها عن طبائع مختلفة، تبعا للحالة الاجتماعية، والثقافية، والانفعالية التي يعيشونها... والتي تدفع الوالدين - ضمن إطار مسؤوليتهم الأبوية - إلى معرفتها، ومعاينتها، إن كانت مرضية أو غير مرضية، للقيام بعد ذلك بإيجاد العلاج المناسب لها، والعلاج هنا هو العلاج الثقافي، أي أن نستخدم التأثيرات الأدبية ووقعها على حالة الطفل، من خلال قراءة القصة أمامه بصوت عال، والتي يراد منها إفهامه طريقة معينة سيكون فيها في المستقبل، فالمهم أن هذه الأمور، هي من الأمور المهمة التي لا بد أن ينتبه إليها الوالدان ليس فقط على صعيد تقديمها ملاحظات وتعليقات تتعلق بالحاضر، ولكن تساعد الطفل أحيانا في الاستعداد للمستقبل، فقبل أن يبدأ الطفل الدراسة بشكل كامل أو جزئي، مثلا، يكون بلا شك معتادا على سماع القصص حول المدارس أو التجارب المستقبلية الأخرى التي تحفل بها كتب القصص.

ويقوم بعض الناشرين حاليا بإنتاج كتب تعالج "حالة معينة" للأطفال الصغار، وتهدف هذه الكتب إلى إعداد هؤلاء الطفل لتغيرات محددة ستجري في حياتهم، من قدوم وليد جديد في الأسرة إلى إعدادهم لتغيرات محددة ستجري في حياتهم، وحتى تجربة البيت المتنقل، ونعيد هنا القول أن التأثير والجاذبية المحتملين لهذا الأدب لا يمكن فصلهما عن الطريقة التي يقدم بها هذا الأدب للأطفال وعن وضعية مشاعرهم الخاصة الموجودة مسبقا، فلا يعقل تجنب غيرة الطفل لدى قدوم وليد جديد بمجرد قراءة كتاب يشرح هذه الأحاسيس والانفعالات قبل وقوع الحدث نفسه، رغم أن تحقيق هذه المشاعر على أرض الواقع قد لا يكون أمرا سينا في حال عرف الأبوان كيف يتعاملان مع هذه المشاعر بطريقة مأمونة⁽¹⁹⁾. تبعد الخوف عن نفس الطفل، وما ينتابه من مشاعر وانفعالات عدوانية، قلق نتيجة الغيرة.

هذا الجانب من الجوانب، هناك جوانب أخرى يتطلب النظر إليها ونحن في الطريق لاعتماد كتب أدب الطفل في تنمية قدرات الأطفال وبناء ذواتهم، وهي جوانب التأثيرات العكسية أو المفاجئة، التي لم تكن متوقعة، وهذا ما يجب إدراكه وأخذه بعين الاعتبار في الاتجاهات الإيجابية لكتب الأطفال. إذ دخلت إلى هذه المساحة مواضيع من نوع الواقعية المربية والتمييز الاجتماعي والجنسي في الأدب، وقد حلت هذه المواضيع أحيانا محل المواضيع التقليدية التي كانت تثير القلق مثل اللغة البذيئة والصرخة

الجنسية، وقد يجد الكبار، حتى أولئك الذين يعتقدون أنهم يأخذون مواقف أكثر اعتدلاً يجدون أنفسهم أحياناً وقد تورطوا في هذا الجدل.

وعليهم أن يحددوا مواقفهم منه، وتحديد الموقف هنا لا يعني ترك هذا الأدب ومنع وصوله إلى الطفل، بقدر ما يعني أن نعمل بإدراك كامل على تهيئة الطفل لاستقبال الأدب الجيد، والتمييز بين الجودة والرداءة في هذا الأدب، تمييزاً ذاتياً طوعياً، من دون أن نرشده بصريح العبارة إلى عدم مرغوبة هذا الأدب، فلدى الطفل فضول كبير لمعرفة ما هو خفي، وحين نمنع عنه هذا الأدب، فقد يدفعه تصرفنا هذا إلى البحث عن هذا الأدب ومعرفته لدى قرين من أقرانه. هذه طريقة مباشرة قد تأتي بنتائج عكسية، إذ لا نستطيع اعتبار ذلك ببساطة موضوعاً يخضع لمعيار مزدوج، رغم أن نفاق الكبار قد يكون أحياناً، وبدون شك، هو أحد العوامل المؤدية لذلك، فالاطفال مؤهلون تماماً وبشكل طبيعي من الناحيتين العقلية والعاطفية لتقبل وجهة نظر حول الموضوع التي تتميز بقاعدة أخلاقية أساسية وبالالتزام بالقانون، وقد لا يكونون بالتالي مستعدين للبدء بقراءة أدب أكثر تعقيداً يقوم بالتساؤل حول القيم الأخلاقية المعطاة لهم قبل أن تتاح لهم الفرصة لتعلم ما الذي يفرض أن تمثله هذه القيم.

وهناك الكثير من الكبار ممن يشعرون بأن من الأفضل التصرف بحذر، واختيار كتب للأطفال لا تتجاوز كثيراً القيم والمواقف التقليدية المعاصرة، وفي حال ظهر أن هذه المعايير لا تترك أثراً كبيراً على الأحداث، فلن يتضرر سوى القلة بسبب ذلك، أما إذا اعتقد الأهل أن بإمكانهم إرجاع سبب خروج أطفالهم عن السلوك الاجتماعي المقبول إلى قراءة كتب معينة جريئة في المدرسة أو في المكتبة العامة، فسوف ينصب غضبهم الشديد، سواء أكان مبرراً أم لا، على الكاتب أو الناشر أو أي مصدر وضع كتاباً كهذا بمتناول الصغار⁽¹⁹⁾، ونتيجة لذلك يتعين على معظم الأدب الموجه للأطفال أن يأخذ بعين الاعتبار الكبار الذين سيقومون أولاً بشراؤه ومن ثم فحصه بدقة للتأكد من أنه يناسب صغارهم.

إن المعايير الصحيحة لاختيار الأدب الجيد للأطفال من قبل الكبار لا تأتي صحيحة ومتطابقة بدقة في بعض الأحيان، وذلك تبعاً لوعي وإدراك وثقافة هذا الأب أو ذاك، أو هذه الأم أو تلك، فالتفاوت في الوعي والإدراك والثقافة هنا، هو تفاوت واقعي وحقيقي، لا مجال لإنكاره، أو تجاهل أثره وتأثيره على المقاييس، والأخذ بمعايير اختيار الأدب الجيد للأطفال، لذلك فالرسائل الإيجابية في الأدب، قد لا تستقل دائماً بشكل إيجابي، وتعتبر الطفولة مرحلة يسهل التأثير فيها وزرعها بالانطباعات، حيث يقوم الطفل بالتعرف على القيم والعادات والمواقف المختلفة في ثقافتهم ومن ثم بالتأقلم معها، وقد يكون لبعض هذه الرسائل التي تصل إلى الطفل عبر الكتب، كجزء من العملية المذكورة، تأثير مهم فيما بعد في صياغة شخصيتهم، رغم أن مدى أهمية ذلك مازال مثار الجدل، وهناك حقيقة تقول مثلاً، بأن التدريب على الاستقلالية المبكرة كان دائماً وثيق الارتباط بالإنجازات الكبيرة التي كان الأطفال يحققونها فيما بعد⁽²⁰⁾.

والمهم في ذلك على الأسرة أن لا تغفل عن إدراك متطلبات الطفل، واحتياجاته من القراءات، مثلما عليها أن تصل بوعيتها إلى إدراك حدود قدراته وإمكانياته وسعة مواهبه ومقدرته على التعلم والإبداع، والوصول إلى هذه المعرفة يعد من المسائل المهمة التي توصلنا إلى معرفة طاقة الطفل وعالمه المعرفي، وبالوصول إلى معرفة ذلك، يتطلب من الوالدين، أن يتعاملوا بحذر ودقة مع الطفل، وأن يعملوا على توفير كل ما يحتاجه من الكتب التي تعمق مفاهيمه في ذاته، وتحفز مواهبه وطاقته على التفتح والنماء الدائم من خلال القراءة المتواصلة التي تؤدي في العديد من الحالات إلى بلورة الطاقات الخلاقة على الكتابة والإبداع، والتي لا يمكن

أن تنمو وتنشط من دونها رعاية واهتمام من الوالدين بشكل خاص، إذ أن للوالدين وللبيئة المناسب داخل الأسرة الأثر الكبير في تعزيز وتفتح ونضوج ثمار المواهب والطاقات التي يتمتع بها الطفل.

إن تشجيع الأهل للطفل يسهم إسهاما كبيرا في تطوير قدرات الطفل ومواهبه، ولكن يجب أن يكون هذا التشجيع منطلقا من موهبة الطفل الذي ينطلق ويبدع في انطلاقه عندما يكون هذا الانطلاق نابعا من موهبته الذاتية، ولكن يحدث العكس في كثير من الحالات، عندما يحاول الأهل حرف الطفل عن توجهه، ودفعه إلى السير على أساس رغبتهم، ولا يعني ذلك، أن الأهل لا يريدون الخير للطفل، ففي ظنهم أن الخير، كل الخير في الحصول على أعلى الدرجات في التوجه العلمي، وهذا هو عين التفوق في تصورهم وظنهم، متناسين في ذلك تفكير الطفل وقدرته ومدى تناسق ذلك مع مواهبه، وفاتهم أن مصادرة رأي الطفل ورغبته قد تأتي بنتائج عكسية في العديد منها نتائج سلبية تؤدي إلى فشل الطفل في الوصول إلى مرتبة معينة.

ومع ذلك هناك أطفال يمتلكون الموهبة القوية، والإرادة الوثيقة من قدراتهم، نراهم ينجحون في مواهبهم وفي إرادتهم إذا ما أخفقوا في هذا التوجه الدراسي أو ذاك والذي جاء نتيجة الضغوط الخارجية لرغبة الأهل، وسلطتهم، وهناك شواهد كثيرة على ذلك.

خاتمة:

إن للوالدين دور كبير في توضيح مسارات الطفل العلمية والإبداعية، وما لدورهما من أهمية في توجيه مواهب الطفل وفي الاختيار المناسب لكتبه. وفي توجيه قراءات الطفل في الاتجاه الصحيح الذي يعمق مواهب الطفل وقدراته ويدفعها نحو الاستفادة الإيجابية القصوى من مادة القراءة وفعاليتها المهمة في وجدان الطفل وفي عالمه البيئي والاجتماعي والمعرفي، فلا غرابة هنا أن ندعو رب الأسرة (الأب) أو (الأم) قبل الطفل، إلى قراءة كتب أدب الطفل، وذلك لكي تكون لديهم الخبرة الكافية في مجال قراءات الطفل وعناصرها في هذه الكتب وفي مجال اختياراتهم الصائبة لهذه الكتب وحسب توافقها مع الطفل..

وفي هذا الاتجاه يتطلب من (الأب - الأم) ومن بحكمهما داخل الأسرة، أن تكون لديهم الرغبة الأكيدة للقراءة، لكي تكون هذه الرغبة محفزا أساسيا أمام الطفل يدفعه إلى ممارسة هذا الفعل والتفاعل معه بفعل التقليد والتماهي معه في بادئ الأمر، ومن ثم يتحول هذا الفعل بعد ذلك إلى ممارسة واعية وفعل ذاتي ينطلق بدوافع شخصية لممارسته، والإحساس بمتعته هذه الممارسة، كلما تمت ممارستها...

الهوامش:

¹. ينظر الكعبي فاضل، الكيان الثقافي للطفل، مؤسسة العروة الوثقى، بيروت 2010، ص 15

². الآية 9، سورة الزمر.

³. الآية 1 و2 و3 و4 و5، سورة العلق.

⁴. يوسف عبد التواب، فصول حول الطفل والقراءة، دار بمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان - الأردن 1992، ص 20

⁵. المرجع نفسه ص 41

- ⁶. المرجع نفسه ص 63
- ⁷. ينظر الكعبي فاضل، الكيان الثقافي للطفل، مرجع سابق، ص 35
- ⁸. المرجع نفسه، ص 40
- ⁹. يوسف عبد التواب، فصول حول الطفل والقراءة، مرجع سابق، ص 89
- ¹⁰. تاكر نيكولاس، الطفل والكتاب، دراسة أدبية ونفسية، تر/ مها حسن بجبوح، وزارة الثقافة، سوريا 1999. ص 23
- ¹¹. سلامة النطق عند الطفل، العدد 1، دار ثقافة الطفل، بغداد، 1987، ص 89
- ¹². المرجع نفسه، ص 92
- ¹³. المرجع نفسه، ص 97
- ¹⁴. تاكر نيكولاس، الطفل والكتاب، مرجع سابق، ص 52
- ¹⁵. المرجع نفسه، ص 60
- ¹⁶. ينظر يوسف عبد التواب، فصول حول الطفل والقراءة، مرجع سابق، ص 81
- ¹⁷. ينظر الكعبي فاضل، العلم والخيال في أدب الطفل، دار الشؤون الثقافية، سلسلة الموسوعة الصغيرة، الطبعة الأولى، بغداد 2001. ص 37
- ¹⁸. ينظر المرجع نفسه، ص 40
- ¹⁹. ينظر المرجع نفسه، ص 53
- ²⁰. ينظر المرجع نفسه، ص 90

